1693

بيان الفرق
بين
الصدر والقلب والفؤاد واللب

لأبي عبد الله محمد بن علي
الحكيم الترمذي

تحقيق

الدكتور نقولا هير

Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Ansiklopedisi
Kütüphanesi
Kayıt No. : 1693
Tasnif No. : 297.4 HAK.B

دار الحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه
١٩٥٨

Türkiye Diyanet Vakfı
Kütüphanesi
İslâm Ansiklopedisi

مقدمة

ولد أبو عبد الله محمد بن على الحكيم الترمذى فى ترمذ ، من بلاد ما وراء النهر ، كما يتضح ذلك من نسبته ، قريباً من مطلع القرن الثالث الهجرى . ولا يعرف على وجه التحقيق وقت مولده أو وفاته وإن روى بعضهم أنه عاش حتى بلغ الثمانين (١) أو التسعين (٢) .

ما روى فى ترجمته :

تعوزنا المعرفة المفصلة الدقيقة لحياة الترمذى ، وأقدم ماليدينا من مصادر حياته هى الترجمة التى كتبها لنفسه (٣) ، وهى تشمل بعض الأخبار عن صدر حياته مما لا نجده فى المصادر المتأخرة ، رغم ماتعج به هذه الترجمة من أخباره خلال المنامات التى تراه فيها زوجه وأصحابه .

ويذكر الترمذى فى ترجمته أنه ابتدأ الدرس فى الثامنة وأنه درس « علم الآثار » و « علم الرأى » . فلما بلغ السابعة والعشرين اعتزم على الحج (٤) ، ومر بالعراق

(١) شمس الدين أبو عبد الله الذهبى ، « تذكرة الحفاظ » الطبعة الثانية (حيدر آباد ١٣٣٣ هـ) ج ٢ ص ١٩٧ .

(٢) أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلانى ، « لسان الميزان » (حيدر آباد ١٣٢٩ — ١٣٣١ هـ) ج ٥ ص ٣١٠

(٣) توجد نسخة مخطوطة من هذه الترجمة فى مجموعة اسماعيل صائب رقم ١٥٧١ تحت عنوان « بدء شأن أبى عبد الله » .

(٤) « بدء شأن أبى عبد الله » ق ٢٠٩ ظ .

فى طريقه طلباً للحديث . ولما وصل إلى مكة وقع على قلبه ، كما يقول ، « تصحيح التوبة والخروج مما دق وجلّ » ، وسأل الله أن « يصلحه ويزهده فى الدنيا » . ثم ألقى عليه ، وهو عائد إلى وطنه ، « حرص التحفظ للقرآن » ، فبدأ ذلك فى طريقه . ولما رجع نشد له شيخاً يدله على طريق التقوى ولكنه لم يهتد إليه حتى سمع « كلام أهل المعرفة » ووقع إليه « كتاب الانطاكى »[١] وتعلم منه شيئاً من « رياضة النفس »[٢] ، وكان فى أثناء ذلك يقضى الساعات الطوال وحيدا فى الصحراء ، فكشف له عن كثير من المعانى والتجليات[٣] .

ثم يحدثنا الترمذى عن وقوعه فى محنة وعن اتهامه زورا بالهوى والبدعة وادعاء النبوة والتكلم فى الحب وإفساد الناس ، وعن رفع هذه الاتهامات إلى والى بلخ الذى أمره ألا يتكلم فى الحب . ويقول الترمذى إن هذه المحنة كانت سببا لتطهير قلبه وتذليل نفسه[٤] . ثم يذكر بعد ذلك أن الذين اتهموه وآذوه اضطروا إلى الهرب حين هاجت بالبلاد فتنة[٥] . وليس فى هذه الترجمة تاريخ مذكور اللهم إلا تاريخ رؤيا رأتها زوجه فى عشر بقين من ذى القعدة سنة تسع وستين ومائتين[٦] .

(١) يذكر السلمى شخصين بهذه النسبة هما : أبو عبد الله أحمد بن عاصم الأنطاكى ، وعبد الله بن خبيق الأنطاكى . انظر « طبقات الصوفية » لأبى عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى ، تحقيق نور الدين شريبة ، (القاهرة ١٩٥٣) ص ١٣٧ و ١٤٥

(٢) « بدء شأن أبى عبدالله » ق ٢١٠ و

(٣) نفس المصدر ، ق ٢١٠ ظ — ٢١١ و

(٤) نفس المصدر ، ق ٢١١ و — ٢١١ ظ

(٥) نفس المصدر ، ق ٢١١ ظ

(٦) نفس المصدر ، ق ٢١٧ و

ولا نجد بعد هذه الترجمة التى كتبها الترمذى عن نفسه ترجمة بين أيدينا أقدم مما كتبه السلمى فى « طبقات الصوفية »[١] ، وإن كان قد ورد ذكر الترمذى فى مصدر أقدم وهو كتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف » للكلاباذى[٢] ، ولعله ذكر كذلك فى كتب أسبق منه وإن تكن ليست بين أيدينا اليوم[٣] ويروى السلمى ، المتوفى سنة ٤١٢ هـ ، أن الترمذى كان أحد كبار المشايخ بخراسان وأنه كتب الحديث ورواه وألف فى علوم القوم كتبا مشهورة ، كما يذكر أنه صحب أبا تراب النخشبى[٤] ويحيى الجلاء[٥] وأحمد بن خضرويه[٦] . وتضم الأسانيد التى يروى بها السلمى أقوال الترمذى ثلاثا من تلاميذه هم القاضى أبو محمد يحيى بن منصور[٧] ومنصور بن عبدالله[٨] والحسن بن على[٩] .

(١) السلمى ، « طبقات الصوفية » ص ٢١٧ — ٢٢٠

(٢) أبو بكر محمد بن إسحاق البخارى الكلاباذى ، « كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف » (القاهرة ١٩٣٣ م) ص ١٢

(٣) انظر Louis Massignon, La passion d' al - Hosayn - ibn - Mansour al-Hallaj martyre mystique de l' Islam (Paris,1922) vol. II, p.9*, nos. 132, 137, p. 10*, no. 144.

(٤) هو أبو تراب عسكر بن الحصين النخشبى . انظر ترجمته فى طبقات السلمى ص ١٤٦ — ١٥١

(٥) ذكره السلمى فى ترجمته لابنه أبى عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء . انظر طبقات السلمى ص ١٧٦ — ١٧٩

(٦) وهو أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخى . انظر ترجمته فى طبقات السلمى ص ١٠٣ — ١٠٦

(٧) انظر ترجمته فى « شذرات الذهب فى أخبار من ذهب » لأبى الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى (القاهرة ١٣٥٠ — ١٣٥١ هـ) ج ٣ ص ٩

(٨) ولعله أبو على منصور بن عبد الله بن خالد الذهلى الهروى . انظر ترجمته فى « تاريخ بغداد » لأبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى (القاهرة ١٣٤٩ هـ) ج ١٣ ص ٨٤

(٩) وهو أبو على الحسن بن على الجوزجانى . انظر ترجمته فى طبقات السلمى ص ٢٤٦ — ٢٤٨ .

وأبو نعيم الأصبهانى ، المتوفى سنة ٤٣٠ هـ ، يذكر فى «حلية الأولياء»[١] أن الترمذى رد على المرجئة وعلى غيرهم من المخالفين ، وينقل فقرات من كتاب « عرش الموحدين » للترمذى بإسناد نجد فيه اسم تلميذ آخر من تلامذته هو أحمد بن محمد بن عيسى[٢] .

أما القشيرى ، المتوفى سنة ٤٦٥ هـ ، فى « الرسالة »[٣] وابن خميس ، المتوفى سنة ٥٥٢ هـ ، فى « مناقب الأبرار »[٤] وابن الجوزى ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، فى « صفة الصفوة »[٥] فلا يأتون بجديد ، إنما يكررون أقوال المتقدمين عنهم .

ويذكر الهجويرى ، المتوفى سنة ٤٦٩ هـ ، فى كتابه « كشف المحجوب »[٦]

(١) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى ، « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء » . (القاهرة ١٣٥١ ــ ١٣٥٧ هـ) ج ١٠ ص ٢٣٣ ــ ٢٣٥

(٢) ولعله أحمد بن أبى الورد . انظر ترجمته فى طبقات السلمى ص ٢٤٩ ــ ٢٥٣ ، وفى « تاريخ بغداد » ج ٥ ص ٦٠

(٣) أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى ، « الرسالة القشيرية فى علم التصوف » (بولاق ١٢٨٤ هـ) ص ٢٩

(٤) أبو عبدالله الحسين بن نصر بن محمد بن خميس ، « مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار » ق ٥٠ من مخطوط المتحف البريطانى رقم Or. 408

(٥) أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد بن على بن الجوزى ، « صفة الصفوة » (حيدر آباد ١٣٥٥ ــ ١٣٥٧ هـ) ج ٤ ص ١٤١

(٦) على بن عثمان الجلابى الهجويرى ، « كشف المحجوب » تحقيق والنتين زوكو فسكى (لنينگراد ١٩٢٦ م) ص ١٧٧ ــ ١٧٩ ، وفى ترجمة نكلسن الإنجليزية (لندن وليدن ١٩١١ م) ص ١٤١ ــ ١٤٢ .

أسماء ثمانية كتب للترمذى من بينها تفسير للقرآن يقول إن الترمذى مات ولم يتمه[١] . كما يذكر أن الترمذى تتلمذ على شيخ من أصحاب أبى حنيفة الأقربين[٢] ، وأن أبا بكر الوراق[٣] كان تلميذاً له . وينسب الهجويرى إليه فرقة صوفية تسمى « الحكيمية » ويخصها بفصل كامل من كتابه[٤] ويقول إن مأخذ قولها فى الولاية هو الترمذى .

وفريد الدين العطار ، المتوفى سنة ٦٢٧ هـ ، يروى فى كتابه « تذكرة الأولياء »[٥] قصصاً كثيرة عن الترمذى ، ويبدو أن أكثرها غير صحيح لأنا لانرى لها ذكراً فى المصادر القديمة ، وأجدرها بالذكر ما رواه عن مقابلة وقعت بين الترمذى وبين يحيى بن معاذ[٦] .

والذهبى ، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ، فى كتابه « تذكرة الحفاظ »[٧] يروى عن السلمى أن الترمذى نفى من ترمذ بسبب كتابين ألفهما بها هما «ختم الولاية»

(١) هذا فى الترجمة الانجليزية فطبعة زوكو فسكى الفارسية تذكر خمسة كتب فقط .

(٢) وهذا من المستبعد نظراً إلى أن أبا حنيفة توفى سنة ١٥٠ هـ .

(٣) وهو أبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق . انظر ترجمته فى طبقات السلمى ص ٢٢١ ــ ٢٢٧ ، وأخرج كتابه « العالم والمتعلم » محمد زاهد الكوثرى (القاهرة ١٣٥٨ هـ) .

(٤) « كشف المحجوب » الطبعة الفارسية ص ٢٦٥ .

(٥) محمد بن إبراهيم فريد الدين العطار ، « تذكرة الأولياء » تحقيق ريتولد نكلسن (لندل وليدن ١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ م) ج ٢ ص ٩١ ــ ٩٩ .

(٦) وهو يحيى بن معاذ بن جعفر الرازى . انظر ترجمته فى طبقات السلمى ص ١٠٧ ــ ١١٤ .

(٧) « تذكرة الحفاظ » ج ٢ ص ١٩٧ .

و « علل الشريعة » ، ولأنه كان يذهب إلى أن للأولياء خاتماً كما أن للأنبياء خاتماً ، فقالوا إنه فضل الولاية على النبوة واحتج بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « يغبطهم النبيون والشهداء » ، وقال « لولم يكونوا أفضل لماغبطوهم »[١] ثم يذكر أنه ذهب إلى بلخ فأكرموه لموافقته لهم فى المذهب ، وأنه رحل إلى نيسابور سنة خمس وثمانين ومائتين ، وأنه عاش حتى بلغ الثمانين .

والسبكى ، المتوفى سنة ٧٧١ هـ ، فى « طبقات الشافعية »[٢] يكرر أكثر ماقاله الذهبى ويزيد عليه ذكر بعض مؤلفات الترمذى . وابن حجر العسقلانى[٣] ، المتوفى سنة ٨٣٢ هـ ، يذكر أن ابن النجار ، المتوفى سنة ٦٩٣هـ ، قد ترجم له فى تاريخه[٤] ، كما يذكر أن كمال الدين ابن العديم ذكره فى كتابه « الملحة فى الرد على أبى طلحة » ، وهو كتاب مفقود يقول ابن العديم فيه إن

(١) ويبدو أن مصدر هذه الرواية هو « تاريخ الصوفية » للسلمى (انظر المقدمة لطبقات السلمى ص ٣٤) لأنها لم ترد فى طبقاته . قارن « ختم الأولياء » ق ١١٣ ظ من مخطوط ولى الدين رقم ٧٧٠ حيث يقول الترمذى : ثم أنهم يروون من الأخبار عن رسول الله صلى عليه وسلم ان لله عباداً ليسوا بأنبياء يغبطهم النبيون والشهداء لقربهم ومكانهم من الله . . . . قال قائل : أفليس فى هذه الأخبار ما يدل على تفضيل من دون الأنبياء على الأنبياء ؟ قال : معاذ الله أن يكون كذلك ، ليس لأحد أن يفضل على الأنبياء أحدا . الأنبياء لهم نبوتهم ومحلهم . قال . فلم يغبطهم النبيون وليسوا بأفضل منهم ؟ قال : قد تبين فى الخبر لم ذلك . قال : لقربهم ومكانهم من الله » .

(٢) تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقى الدين السبكى ، « طبقات الشافعية الكبرى » (القاهرة) ج ٢ ص ٢٠ .

(٣) « لسان الميزان » ج ٥ ص ٣٠٨ ــ ٣١٠ .

(٤) أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن النجار ، « ذيل على تاريخ بغداد » ، انظر Brockelmann, GAL, Suppl. I, 613.

الترمذى « لم يكن من أهل الحديث ... و إنما كان فيه الكلام على إشارات الصوفية والطرائق ودعوى الكشف عن الأمور الغامضة والحقائق حتى خرج فى ذلك عن قاعدة الفقهاء واستحق الطعن عليه بذلك » ، و إن « ملأ كتبه الفظيعة بالأحاديث الموضوعة وحشاها بالأخبار التى ليست بمروية ولا مسموعة »[١] . ثم يروى ابن حجر كذلك أن الأنبارى[٢] سمع منه سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة[٣] .

وأما المتأخرون من المؤرخين كالجامى[٤] ، المتوفى سنة ٨٩٨ هـ ،

(١) وجدير بالذكر ما يروى ياقوت فى « معجم الأدباء » من أن عم كمال الدين ابن العديم ، وهو جمال الدين محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله ، كان « أحد الأولياء العباد وأرباب الرياضة والاجتهاد » وأنه « شغف بتصانيف أبى عبد الله محمد بن على بن [كذا] الحكيم الترمذى فجمع معظم تصانيفه عنده وكتب بعضها بخطه » . (انظر ياقوت ابن عبد الله الرومى ، « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » تحقيق مرجوليوث ، لندن وليدن ١٩٠٧ ــ ١٩٢٦ ، ج ٦ ص ٣٣ ــ ٣٤) . وفى أيدينا مخطوطان بخطه هما : مخطوط ليبزج رقم ٢١٢ ومخطوط مكتبة البلدية بالإسكندرية ، فنون متنوعة رقم ١٤٥ وفقه شافعى رقم ٣٣ .

(٢) ولعله أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم بن عمران بن بريدة الأنبارى المتوفى سنة ٣٦٠ انظر « تاريخ بغداد » ج ٢ ص ١٥٠ .

(٣) وقد روى كل من دارا شكوه وحاجى خليفة أن الترمذى توفى سنة ٢٥٥ وهذا ليس بصحيح بدليل ما ذكره الترمذى نفسه فى ترجمته عن منام رأته زوجه سنة ٢٦٩ . انظر « سفينة الأولياء » لدارا شكوه ، ق ٨٦ ظ من مخطوط المكتب الهندى رقم ٦٤٧ ، و « كشف الظنون » لمصطفى بن عبد الله كاتب چلبى حاجى خليفة ، تحقيق جستانس فلوجل (ليبزج ولندن ١٨٣٥ ــ ١٨٥٨ م) ج ١ ص ١٥٥ .

(٤) نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الجامى ، « نفحات الأنس من حضرات القدس » (كلكتة ١٨٥٨ م) ص ١٣١ .